

## قلب كل فلسطيني



## سباعيا

## نعم.. تمنيت!

تغريدة الصباح

لكم تمنيت لو أنني عشت في زمن كاتب الإنكليز الشهير وليم شكسبير (1564 1616-) الذي ما زال قلب الأدب يتنفس مما أعطى، ومما أبدع، وذلك لسبب وحيد وجيه هو أن أعرف كيف عاش هذا الكاتب، وكيف سحر الناس بأدبه، وكيف جمعهم على الشوق لرؤية ما أبدعه، وفي كل وقت، ومن جديد، وهل هو كائن بشري من لحم ودم ومشاعر وأحلام، أو أنه اسم لكائن افتراضي كتب شعرا خالدا، ومسرحيات قرأت تاريخ البشر، وما أنجزته مدونة الأساطير من نصوص، جمعت بين دفتيها أسرار الحياة.

ولكم تمنيت لو أنني عشت في زمن بوشكين (1799-1837) أديب روسيا الذي قال باعتداد أنا شاعر، وهو لا يزل على مقاعد الدراسة الابتدائية، وقد لزم مكتبة المعهد الذي درس فيه ساعات الليل كلها تقريبا، ليقرأ ويتعلم، كيما يكتب الشعر الجميل، والنثر الجميل في آن، وذلك لأعرف حقا، إجابة عن سؤالي: هل انحنت الرقاب، وذلت النفوس، وعميت العيون، حتى خاض مبارزة، عديمة الجدوى، مع آخر حاقد، أصابه بطلق مميت جهارا نهارا، وهو يعرف أي جليل يقتل، وأي حياة يصادر!

وتمنيت لو أنني كنت قريبا من شاعر تونس الفذ "أبو القاسم الشابي" (1909-1934) الذي رحل كمدأ، وقهرا، وظلما، وهو في ريعان شهرته الشعريّة، وبواكير حضوره المذهل، وقدرته العالية على تطويع الكلام ليصير سحرا حلالا، تمنيت القرب منه لأقول له: لماذا الكمد، والقهر، والحديث عن المظلومية، لنفر لا قامات لهم، ولا أهمية، لأن شأنهم هو شأن التقول والافتراء! إنهم، يا بن توزير، يخافون من موهبتك، ومن خطواتك الصاعدات نحو المرتقى العالي الأشم، وهم أصحاب (موهبة) أجمعت على القول سرا: إنك تكتب شعرا خالدا، شعرا يضيء، أو قل شعرا علته أنه يضيء حيثما قرّا!

وتمنيت لو عرفت مي زيادة (1886-1941) التي جمعت عبريات الأدب حولها، لتكون هي مرآة لنصوصهم، والتي اتهمت بالجنون الذي لم يلحظه جبران خليل جبران (1883-1931)، ولا عباس محمود العقاد (1889-1964)، ولا مصطفى صادق الرافعي (1880-1937) بينما لحظة، وجهر به، طامع بمالها، وشهرتها، وهو قريب لها، فاحتال، وغرر، وزيف حتى أوصلها إلى مصحة تعنى بشؤون العقل! تمنيت لو أنني عرفتها لأقول لها: أنت مجنونة فعلا لأنك أبدعت أدبا جميلا ، وبنيت حضورا عزيزا، وأقمت صروحا للشهرة هنا، وهنا، وهناك، لا تقوى يد ندية على مسّها ولو مسحا، وأنت طوّعت المجد ليكون شريكا لك في الحضور والمهابة.

وتمنيت لو أنني عرفت غسان كنفاني (1936-1972) ابن فلسطين الذي رأى دورها، ومدارسها، وشوارعها الزينة في عكا، وحيفا، ويافا، طفلاً وبعينيه وعقله، فظل مدهوشا بما رأى حتى رحيله؛ تمنيت رؤيته، والافتراب منه، لأعرف لبابة عشقه الذي صبغ كل شيء عمل عليه، ولأصرخ بعلو الصوت، يا للأفعال التامات المؤبدات بالعشق، عمل في الصحافة في بيروت، كي يعيش، عمل في خمس صحف في وقت واحد، وحرر منشوراتها في ليلة واحدة. وعرف رؤيا أهل هذه الصحف الخمس، فكتب لكل واحدة ما اتفق عليه مع أصحابها، فكان في الليلة الواحدة، محررا سياسيا، يكتب المادة السياسية عن أبرز خبر سياسي طالع، ومحررا أدبيا ثقافيا، يجيز نشر المواد الثقافية والإبداعية، ويكتب عمودا عن حال أدبية ثقافية،ستصبح قضية للنقاش في الصباح؛ ومحررا للشؤون الفنية، فيكتب لها المقدمات

◀ 7

### حين تصبح الجامعات ومنصات التواصل ساحات للصراع.. لماذا تحتاج فلسطين إلى دبلوماسية المواطن؟

آلاف الدولارات للمنشور الواحد، بهدف تحسين صورة إسرائيل والتأثير في الرأي العام العالمي. كما تحدثت التقارير عن برامج تدريبية وخطط لإنتاج محتوى بلغات متعددة تخاطب جماهير مختلفة، في إطار استراتيجية إعلامية متكاملة تعتمد على القوة الناعمة بقدر اعتمادها على القوة السياسية.

ولا تبدو هذه الجهود منفصلة عن الواقع الذي فرضته حرب الإبادة على غزة، وما رافقها من تراجع غير مسبوق في صورة إسرائيل لدى قطاعات واسعة من الرأي العام العالمي. لذلك، لم يعد الاستثمار في الإعلام الرقمي والجامعات خياراً تكميليًا، بل أصبح جزءاً أساسياً من استراتيجية طويلة المدى تستهدف التأثير في العقول قبل التأثير في المواقف السياسية. ولهذا نجد أن إسرائيل وأجهزتها الأمنية بدأت تتوسع في استخداماتها لمواقع التواصل الاجتماعي ليس فقط في عملية تجنيد العملاء كما درجت على فعل ذلك من خلال الوحدة 8002 وغيرها. وإنما أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي هدفاً إسرائيلياً لإنتاج المعرفة المحسنة لصورة إسرائيل في الرأي العام الدولي. ولهذا نجد أن الاستثمارات الإسرائيلية في الجامعات الغربية ليست استثماراً أنياً، بل هو استثمار في المستقبل. فالجامعات، في نهاية المطاف، لا تُخرِّج طلبة فقط، بل تُخرِّج الصحفيين، والأكاديميين، والقضاة، والدبلوماسيين، وصناع القرار. ومن ينجح في التأثير في البيئة الجامعية اليوم، سيحصد

◀ 7

## الحياة الجديدة

موفق مطر

سؤال عالماشي

## أشباح حماس.. مصلحة ننتياهو بإبقاء أو إنهاء صلاحيتهم

منظومة الاحتلال والاستعمار الصهيونية العنصرية (اسرائيل) ما زالت تستخدم حماس كحقول ألغام تفجر بعضها في الأوقات والأماكن المناسبة لتدمير مقومات وركائز السلطة الوطنية الفلسطينية ولمنع تجسيد الدولة الفلسطينية، التي لن تصبح حقيقة واقعة بدون التواصل الجغرافي والسكاني بين الضفة الفلسطينية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة، وتبقي على حقول أخرى تحت السيطرة لتأمين الذرائع اللازمة للاستمرار بتطبيق مخططات وقرارات توسيع الاحتلال والاستعمار الاستيطاني وتكريس وقائع على الأرض وفرضاها رغم معارضة المجتمع الدولي، ومخالفتها الصريحة لقرارات الشرعية الدولية، واعتبارها جرائم حرب لما فيها من تهجير للسكان الفلسطينيين اصحاب الأرض التاريخيين والنشعيين، كما يحدث في الضفة الفلسطينية، وجرائم ضد الانسانية كما يحدث منذ أكثر من الف يوم في قطاع غزة، حيث لم تتوقف عمليات الإبادة رغم صعود وهبوط خطها البياني من حيث اعداد الضحايا يوميا وتدمير البنى التحتية والمؤسسات الصحية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية! فحكومة ننتياهو تضيق الخناق على مليوني فلسطيني في القطاع بقوا أحياء لكن أكثر من 80٪ بالمئة منهم نازحون يعيشون في خيام مهترئة، فيما ساسة حماس الامنون خارج قطاع غزة يبحثون عما يوفر لفرع جماعتهم (الاخوانية القطبية) المسلح، ولو بقايا من سلطتهم الانقلابية، وديمومة سيطر تهم على سكان القطاع الذي لن تزيد المساحة المخصصة لحشر السكان فيها الى حين تنفيذ مخطط التهجير تحت عناوين مبتدعة عن 30٪ من مساحته البالغة 365 كم مربع، حتى لو كلفهم ذلك شطب كل شعاراتهم وادعاءاتهم ودعاياتهم التي خدعوا الجماهير الفلسطينية بها، حول الجهاد والمقاومة ورفض الاعتراف باسرائيل، وتخوين وتكفير من يقيم علاقة من نوع ما معها مع الادارة الأميركية، حتى وان كنا على يقين أن الأمر لا يتعلق بمراجعة سياسية، إنما بأوامر خارجية وصلتهم على وجه السرعة من طهران، أو لإراكهم أن طهران قد تخلت عنهم تماما، وأن فرصة البقاء محدودة، ولم يعد بمقدورهم التحدي والاستقواء بحكام طهران، وليس أمامهم إلا الخضوع وتلبية شروط منظومة الاحتلال الاسرائيلية بتسليم السلاح الثقيل، ولكن تحت مسميات هلامية

مبهمة مثل: تخزين السلاح دون ذكر أين ومن سيتولى الإشراف على مخازنه!! لكنهم كما يبدو يلعبون ورقتهم الأخيرة الخاسرة وهي المناورة – كما يظنون – على خلاف امريكي اسرائيلي ملفات ايران ولبنان وحماس في غزة ايضا، وذلك بناء على يقين راسخ أن مصلحة رئيس حكومة الاحتلال الاسرائيلي بنيامين ننتياهو مع جماعتهم ما زالت لم تنقطع نهائيا، ذلك أن ننتياهو يعمل على ضمان بقاء العامل الذي يضعف الموقف الفلسطيني ويبقيه منعسما، والذي من اجل تحقيقه رخص الشبائك لجماعة الاخوان القطبيين لتشكيل المركز الاسلامي بغزة تحت اسم ومرأى الاحتلال، والذي منه خرجت (حماس) مهياًة مدربة جاهزة لتدمير المشروع الوطني الفلسطيني، وضرب فكرة التحرر من جذورها لدى الشعب الفلسطيني، فننتياهو المعروف بخبرته في اللعب بحذر شديد بأوراقه، وعدم التفريط بها دون ثمن عظيم يعود عليه شخصيا وعلى منظومة الصهيونية الدينية التي يقودها سيبقي على (أشباح حماس) في قطاع غزة لتفهم جميع الأطراف القائمة على ما يسمى مجلس السلام أنه اللاعب الحاسم في تنفيذ الخطة التي اقرت في مجلس الأمن، كون جيشه يسيطر فعليا على القطاع، ولا يمكن لأي وضع هناك يسير بدون ضوء اخضر من حكومته وجنرالاته، علاوة على حاجته لنزاع جديدة للاستمرار بحملة الإبادة التي تتقاطع معه قيادة حماس باستمرارها، حتى لا تتوفر للمواطنين في قطاع غزة فرصة التقاط الأنفاس، وأخذ الموقف الوطني ومحاسبتهم على منحهم منظومة الصهيونية الدينية الذرائع لوضعهم في مركز رحي الإبادة الدومية، عبر صناديق الانتخابات القادمة التي قررت القيادة الفلسطينية إجراؤها في نوفمبر القادم، إن لم يكن بانتفاضة شعبية على بقايا سلطة انقلابهم الدموي .

سنشهد خلال الأيام والأسابيع وربما الشهور القادمة، انقلابات حماسوية مشتقة من وحي الانقلابات القطبية المبررة، التي يتم اشتقاقها من كتب فقهم القطبي السلطوي، لكنهم مهما فعلوا فإنهم لن يستطيعوا منع انهيارهم الذي لا يحتمل أكثر من دمغة ننتياهو وختمها، فمن صنعهم يقرر متى ينهي صلاحيتهم .

مريم شومان

ب"إرهاق التعاطف"، حيث يؤدي التكرار وكثافة الصور إلى نوع من التبليد التدريجي لتفقد الأحداث قدرتها على إثارة الصدمة التي كانت في البداية محركا رئيسيا للاهتمام العالمي.

ولعل الخطر الأكبر لا يكمن في تراجع التغطية الإعلامية بل في تطبيع المأساة، فعندما تصبح أخبار القصف والمجاعة والنزوح والعيش في الخيام وانهيار المنظومة الصحية والتعليمية جزءا من النشرة اليومية المعتادة يتحول الاستثناء إلى واقع مألوف وتفقد الجريمة شيئا من قدرتها على إحداث الصدمة رغم استمرارها، وهنا لا يعود السؤال: ماذا يحدث في غزة، بل يصبح: لماذا لم يعد ما يحدث في غزة يهزّ العالم كما كان في السابق؟

ومع ذلك فإن قراءة المشهد من زاوية التراجع وحدها ستكون قاصرة، فالملف الذي راكمته الحرب خلال ألف يوم لم يعد مجرد أرشيف إخباري بل أصبح ذاكرة رقمية عالمية يصعب محوها، ملايين الصور والشهادات والمقاطع والوثائق التي أنتجها الصحفيون والناشطون والناجون والمؤسسات الحقوقية تشكل اليوم سجلا مفتوحا يتجاوز حدود اللحظة السياسية، ويمكن أن يصبح بمرور الزمن جزءا من الذاكرة الجماعية التي تستند

◀ 7

الخاصة وتوثيق الوقائع لحظة بلحظة، ومن جهة أخرى؛ أخضعت هذه القضايا لمنطق "اقتصاد الانتباه" حيث تتنافس الأحداث على وقت المستخدم وتصبح الخوارزميات شريكا في تحديد ما يبقى حاضرا في الوعي وما يتراجع إلى الهامش.

وفي هذا الإطار، برزت الرواية الفلسطينية خلال السنوات الأخيرة بوصفها فاعلا مؤثرا في تشكيل الوعي العالمي، بعدما تجاوزت حدود الطرح السياسي التقليدي لتتموضع ضمن خطاب حقوقي وأخلاقي أوسع، إذ لم يعد الحديث يدور حول صراع جغرافي أو توازنات قوى فحسب بل حول انتهاكات تمس جوهر الكرامة الإنسانية، وقد لعبت المواد البصرية والشهادات الحية القادمة من الميدان دورا حاسما في ترسيخ هذا التحول إذ أسهمت في بناء سردية إنسانية متماسكة وجدت صدئً واسعاً لا سيما لدى الأجيال الناشئة التي تعتمد على المنصات الرقمية كمصدر أساسي للمعلومات والأخبار.

لكن ترسيخ هذه السردية لا يكفل بالضرورة استدامة تأثيرها، فطبعية الفضاء الرقمي تقوم على التدفق المستمر للمحتوى حيث تتزاحم القضايا وتنبدل الأولويات بوتيرة متسارعة، ومع هذا الإيقاع المتلاحق تتراجع قدرة الجمهور على التفاعل العاطفي مع المأساة ذاتها في ظاهرة يصفها الباحثون

لا تبدو الـ 1000 يوم في حالة غزة مجرد رقم يُضاف إلى تقويم حرب الإبادة، إنها اختبار طويل لذاكرة العالم ولقدرة الرأي العام على الاحتفاظ بإنسانيته أمام مأساة ممتدة ولمنظومة إعلامية تعيش على إيقاع الحدث الجديد أكثر مما تعيش على استيعاب المأسى التي لا تنتهي، فالإبادة الجماعية لا تصبح أقل فداحة مع مرور الزمن لكن استمرارها يفرض تحديا من نوع آخر: كيف تتحول الجريمة تدريجيا من صدمة عالمية إلى مشهد مألوف؟

هذه هي المفارقة التي تكشفها ألفة الحرب؛ ففي الأيام الأولى كانت صور الدمار والقتل والنزوح تتصدر نشرات الأخبار وتفرض نفسها على أجندة الإعلام العالمي وتحرك موجات تضامن واسعة في الشوارع والجامعات والمنصات الرقمية، أما اليوم وبعد ألف يوم فإن المأساة لم تتراجع بل إن كثيرا من المؤشرات الإنسانية ازدادت قسوة، لكن حجم الانتباه العالمي لم يعد على المستوى نفسه ليس لأن الواقع تغير بل لأن آليات الاهتمام في العصر الرقمي تغيرت.

لقد أعادت المنصات الاجتماعية صياغة العلاقة بين الجمهور والأزمات، فمن جهة منحت القضايا الإنسانية قدرة غير مسبوقة على تجاوز احتكار المؤسسات الإعلامية التقليدية وسمحت للضحايا والصحفيين والناشطين بإنتاج روايتهم